obeikandl.com

obeikandl.com

تحقيق مكان مدين

قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وقال سبحانه في سورة الأعراف : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

قال الإمام ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء كان أهل مدين قومًا عربًا يسكنون مدينتهم «مدين» التي هي قريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبًا من بحيرة قوم لوط وكانوا بعدهم بمدة قريبة ، ومدين قبيلة عرفت بهم وهم من بني مدين بن ميدان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبيهم هو ابن ميكائيل بن يشجن ذكره ابن إسحاق قال : ويقال له الريانيه «يثرون» وفي هذا نظر ويقال : شعيب بن يشنر بن لاوي بن يعقوب ويقال شعيب بن نويب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم ويقال : شعيب بن حيفور بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم وقيل : غير ذلك في نسبه وقال : ابن عساكر ويقال : جدته ويقال : أمه بنت لوط .

والشاهد في هذه القصة هو تحديد مكان مدين شمال بلاد الحجاز وجنوب الأردن .

قال ابن كثير وذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سلمة ابن سعد العنزي : أنه قدم على رسول الله ﷺ فانتسب إلى عنزة فقال : «نعم الحي عنزة مبغي عليهم منصورون رهط شعيب وأختان موسى » فلو صح هذا لدل على أن شعيبًا صهر موسى وأنه من قبيلة من العرب العاربة يقال لهم : عنزة لا لأنهم عنز بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فإن هؤلاء بعده بدهر طويل ، والله أعلم .

وفي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل «قال أربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر» وكان بعض السلف يسمى شعيبًا خطيب الأنبياء ويعني ذلك فصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته .

وقد روى ابن إسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس : قال كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيبًا قال «**ذاك خطيب الأنبياء**» .

*** طريق موسى عليه السلام عند عودته من مدين :**

من المعلوم أن موسى عليه السلام عندما قضى الأجل ، وعندما سار بأهله حتى وصل إلى الطور من مدين ، والتي هي في شمال الجزيرة العربية وجنوب معان بالأردن قريبًا من بحيرة لوط وهو البحر الميت بالأردن ، قد سلك طريق تجار الغنم الذين يعودون بتجارتهم من السعودية إلى مصر عبر سيناء ومن هذه الطرق ما يسمى طريق النُّبك أو ما يسمى اليوم بميناء نبق أو محمية نبق ومنها يعود التجار بالأغنام والجمال عن طريق البواخر ، التي تعبر خليج العقبة ثم يسيرون بهم أيامًا ومراحل داخل سيناء يرعون غنمهم وإبلهم

حتى يصلوا بها إلى السويس ، ومن العلـوم أن موسى عليه السلام كان يسير في نفس الطريق ولكنه ضل الطريق ولكنه ضل الطريق في ليلة شاتية مظلمة، فذهبت به إلى جوار جبل طور سيناء كما قدمنا ، وقد أوضح نعوم شقير في كتابـه تاريخ سيناء طريق الـتجار والذين يعـودون بما معهم من غنـم وجمال وغيرها من السعودية فقال في صـ ٢٨٥ «درب النبك» .

هذه الدرب هي درب تجـار الإبل والغنم من الحـجار إلى مصـر في هذا العهد ، حدثنـي الحسن الألجن التاجر الحويطي الذي يتـجر بالإبل والغنم مع الحجاز قال :

«نأتي بالإبل والأغـنام من الحجاز إلى مـيناء الشيخ حـميد ، ونعبـر بها خليج العقبـة الصبح في مراكب فنصل ميناء النبك إذا سـاعدت الريح بساعة ونصف ثم نسيـر من النبك الضحى شمالاً بغـرب ٣ ساعات ، فنصل وادي الأرملة فنسند مـعه حتى نلتقي وادي البـدع فنبيت فيه أول ليـله ثم نسند مع وادي البدع إلـى فنبيت فيـه أول ليله ثم نسـند مع وادي البدع إلى أن نلـتقي وادي رتامة «فرع من البدع» الظهر فنقيل فيه ثم نستطرد السير في هذا الوادي قليلاً ننفرج من اليمين إلى وادي نقـيرات فنقطعه ونأتي عين الكيد في وادي الكيد فـنبيت ثاني ليلـة ثم نصعد في الوادي نحـو ساعة ونعرج إلـى اليمين فنسـير بين جبلـين ونقطع وادي الأملح «فـرع من مدسوس» ثـم نتسلق نقـبًا صغيراً ونهـبط في وادي النصب فنبيت فيه ثالث ليـلة ثم نبرح وادي النصب ونسير عن شـمالنا فيقابلنا وادي زغرة فـنسند معه نحو ساعتـين ثم نتركه عن شمالنا ونسير إلى يمـيننا فنأتي علو العجرمية فنبيت فيـه رابع ليلة ثم نسير في العلو حتى نأتي عين الأخضر في رأس وادي الأخضـر فنستقي منها ونستطرد السير إلى نقب الأشقير فنبيت فيـه خامس ليلة ومن نقب الأشيقر نهبط وادي

الأشيقر فنبيت فيه خامس ليلة ومن نقب الأشيقر نهبط راديس الأشيقر وننحدر معه إلى أن نأتي وادي السيق فننحدر معه ساعة ثم نتركه ونندخل الرملة ونسير فيها إلى الشيخ حبوس فنبيت عنده سادس ليلة ثم نستطرد السير في الرملة فنأتي فم و دي النصب «الغربية» الضحى فنرد الماء وتصدر عنه العصر فنقطع رمله القُرَى ونبيت في رادي الحمر سابع ليلة ثم نستطرد السير في طريق البتراء فنبيت في غرندل ثامن ليلة ثم في بئر عواد تاسع ليلة ثم في عيون موسى عاشر ليلة ثم نأتي الحجر السويس الضحي عند كوبري السويس فتقضي فيه يومًا إلى ثلاثة أيام فيتقاضانا وكيل الحويطات رسم جمرك والمحجر وهو ٤,٥ قروش عن كل رأس ماعز و ٥,٥ قروش عن كل رأس ضأن و ٤٣ قرشًا عن كل جمل ثم نتخذ طريق نابليون إلى بلبيس فسوق الخانكة قرب المرج فسوق شبيم فسوق قليوب فسوق طنان نبيع الإبل والأغنام ثم نعود إلى الحجاز بهذه الطريقة عينها فنشتري سواقه ثانية وهكذا .

هذا ويذهب تجار الحويطات من مائة إلى ثلاثمائة تاجر في السنة يذهبون جماعات تختلف من خمسة إلى عشرين تاجراً وكل تاجر يذهب مرة أو مرتين أو ثلاثًا في السنة وفي كل مرة يحضر معه من مائة إلى خمسمائة رأس غنم ومن عشرة جمال إلى مائة جمل وأكثر تجارة الإبل في هذه الطرق من إبريل إلى أغسطس . . . انتهى كلام نعوم شقير .

ونقول أن هذه الرحلة عبر خيج العقبة من أرض مدين بالسعودية إلى مصر لتجار الأغنام والتي وصفها نعوم شقير كانت في ١٩١١م يعني العصر الحديث والزمن القريب أما رحلة موسى عليه السلام فهي تمامًا سارت هذا المسار حيث كان خليج العقبة من أكثر مناطق الدنيا عمارة وحضارة في زمن سيدنا موسى عليه السلام ، وكانت على جانبيه تكثر الحضارات والممالك

القديمة فالفراعنة في سيناء مصر وحضارة ثمود وحضارة مدين وحضارة قوم لوط والحضارات بسوريا من فينيقية وأشورية وغيرها ، وأما موسى عليه السلام فقد عبر خليج العقبة بغنمه التي أعطاها إليه حماه ليس فيها قشوش ولا ضيوف ولا طينوب وهي خالية من العيوب وعبر موسى بالسفينة التي كان يعبر بها الناس والتجار من ميناء النبك ميناً نبق حاليًا حيث كان هو أهم الموانئ على الخليج ولكنه لم يسلك الطريق الذي وصفه نعوم شقير وحيث أن القرآن الكريم لم يذكر خط سير موسى عليه السلام ولم نجد لدى المفسرين من أثر يدل على ذلك فإنه لابد أن يكون موسى عليه السلام قد سلك نفس الطريق غير أنه مر بثلاث محطات ضرورية لرحلته حسبما ورد في القرآن الكريم فالأولى وهي مدين والثانية هي طور سيناء حيث ناداه ربه بالوادي المقدس طوى والثالثة هي المدينة التي يسكنها أهله أمه وأخوه هارون وبقية الأسرة ويقيم بها فرعون سلك مصر في هذا الزمان .

ونحن مع القرآن الكريم نقول : إن من الثابت نصًا في القرآن الكريم أن موسى عليه السلام قد مر بطور سيناء مكان مدينة الطور الآن وأنه تاه في الطريق ، فسار في اتجاه الجبل الذي يسمى جبل الطور وكان بين الطريق والجبل مسافة لا تزيد عن خمسة كيلو مترات حسبما هو موجود على الطبيعة وأن موسى عليه السلام رأى نارًا في لحف الجبل ، أي في جانب الجبل من الوادي وهو متجه شرقًا ثم سار شمالاً فأصبح الجبل عن يمينه قال الإمام القرطبي في تفسير سورة مريم عند قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ﴾ أي : وقرأ عليهم من الكتاب قصة موسى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ في عبادته غير مرائي وقرأ أهل الكوفة بفتح اللام أي : أخلصناه فجعلناه مختارًا ﴿ وَنَادَيْنَاهُ ﴾ أي : كلمناه ليلة الجمعة ﴿ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ ﴾ أي : يمين موسى وكانت

الشجرة جانب الجبل عن يمين موسى حين أقبل من مدين إلى مصر قاله الطبري وغيره ، فإن الجبل لا يمين له ولا شمال ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ نصب على الحال أي : كلمناه من غير وحي وقيل : أدنيناه لتقريب المنزلة حتى كلمناه وذكر وكيع وقبيضه عن سفيان عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ أي : أدنى حتى سمع صريف الأقلام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ وذلك حين سأله فقال : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴾ .

*** مكان الوادي المقدس طوى :**

قال الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه قصص القرآن ص ١٩٨ ما نصه :

وقد وصف بالأيمن ضد الأيسر ، وهو باعتبار أنه واقع على يمين القبلة على طريقة العرب من جعل القبلة هي الجهة الأصلية ، فيكون الموقع هو الجهة الغربية لجبل الطور أي : جهة مغرب الشمس من الطور ، أنه مكان في جانب جبل الطور عند مدينة طور سيناء ، وهي أخصب مكان في هذه المنطقة ومن المعلوم جغرافيًا أن مدينة طور سيناء ينزل عندها الماء من جبل الطور عند السيول من وديان تنحدر من جبل كاترين شرقًا إلى مدينة طور سيناء ، وحيث قرية وادي الطور ويعدها حمام موسى ناحية البحر ويفصل جبل الحمام عن جبل الطور وادي متسع يسمى سهل القاع وهو حسب ما ذكره نعوم شقير في كتاب تاريخ سيناء ص ٣٨ قال «وسهل القاع» هو امتداد سهل المرفا والذي يبدا من ميناء أبو رديس ، ويمتد جنوبًا نحو خمسة عشر ميلاً إلى مصب فيران المشهور إنه السهل المعروف في التوراة ببرية سين حيث تذمر الإسرائيليون من الجوع ، فأرسل لهم المن والسلوى لأول مرة خروج

ص ١١٦ .

وسهل القاع يبدأ حيث ينتهي سهل المرفا ويمتد جنوبًا إلى رأس محمد مسافة تسعين ميلاً تقريبًا وعرضه عند مدينة الطور نحو ١٤ ميلاً ولكنه من مصب فيران إلى مدينة الطور يتقهقر نحو البر فيفضل بينه وبين البحر جبال مستطيلة قليلة الارتفاع أشهرها جبل حمام موسى ، وجبل الناقوس وبين جبل حمام موسى ، وجبل الطور عند مدينة الطور ١٤ ميلاً تقريبًا بها وادي سهل القاع ويصب فيه عند مدينة الطور وادي فيران الذي يقول عنه نعوم شقير ص ٧٤ «ووادي فيران» ينشأ من نقب فيران شرقي جبل سربال ويسير متعرجًا جنوبًا نحو ١٥ ميلاً فيصب في سهل القاع على نحو ١٦ ميلاً من مدينة الطور وهو في طريق هذه المدينة من الدير والعقبة وعند مصبه حجارة نبطية وفيه ثلاث عيون «عين الوطية في رأس الوادي في سطح نقب فيران الجنوبي» وعين الرويسات على نحو خمسة أميال عن عين الوطية وعليها ثلة من النخيل «وعين الحشا» على نحو خمسة أميال من عين الرويسات وهي أغزرها ماء تجري نحو ثلاثة أميال ثم تغور بالقرب من مصب الوادي في مجراها بعض النخيل ومن فروع فيران وادي كرين يأتي من الشرق من جبل مدسوس ويصب فيه بين عين الوطيه ، وعين الرويسات بعد مسيرة ستة أميال، أو نحوها وفي رأسه في جبل مدسوس يكثر حيوان التيبل فتقصده السياح لصيده.

ووادي الملاحة يأتي فيران من الشمال الغربي ويصب فيه بين عين الرويسات ، وعين الحشا طوله نحو ستة أميال ، وفي رأسه معدن المغنسيوم والحديد عدنه القدماء اتيت هذا المعدن سنة ١٩٠٧ فرأيت تلالا من نقاوة المعدن بقربها عدة أكواخ بناها المعدنون الأقدمون مساكن لهم وهي مبنية من

حجر الغشيم والسطين بناء متين جداً حتى نجد الطين لاصقًا بالحجر كأنه جزء منه ؛ ولها أبواب من حجر ضيقة جداً شبران في شبرين فلا يمكن الدخول منها إلا زحفًا وأهل البلاد يسمونها «قصر» مفردها قصير .

نقيب حبران أما نقب حبران ، فهو جبل مرتفع شهير يطل على سهل القاع وجبل سربال وجبال التيه فتنجلي منه المناظر من أجمل المناظر في سيناء وأبهاها وطوله من أسفله عند عين لوطية إلى رأس قمته مسيرة ساعة وعلى قمته خرائب قرية قديمة للسكان الأصليين ، تخترقها طريق الطور ترى المنازل فيها مبنية على شكل إسطواني أو حلزوني تنتهي بقبة ، ولكل منزل في أسفله حائط متين يدعمه ، وكلها بالحجر الغشيم والطين ، وللقرية جبانة محكمه الصنع فيها أربعة أضرحة ، ضريحان تحت الأرض وضريحان فوقها قالوا : وقد وجد بعض البدو في تلك الجبانة أساور من ذهب .

ويعتقد ـ والله أعلم ـ أن هذا المكان الذي عسكر فيه بنو إسرائيل وعبدوا فيه العجل ، ورفع الله سبحانه فوقهم الجبل في هذا المكان .

« **ووادي أسلا** » ينشأ من غربي طور سيناء ويسير متعرجًا بين الجبال الطرفية إلى أن يصب في سهل القاع على نحو ١٤ ميلاً من مدينة طور سيناء وهو أجمل وادٍ في سيناء كلها وفيه عين تجري مسافة قصيرة ثم تغور في رمال قبيل مصبه في سهل القاع وفيه تمر طريق مختصرة من مدينة الطور إلى دير سيناء ويعرف رأسه بوادي الطرفا ؛ انتهى كلام نعوم شقير .

إذًا أين الوادى المقدس طوى ، وبعد هذا السرد واستعراض الأماكن في الكتب السابقة ، وعلى الطبيعة فإن الوادي المقدس طوى لا يعدو أن يكون عند مصب وادي حبران في سهل القاع على بعد ١٦ ميلاً شرقًا بشمال من مدينة الطور والأرجح عندي أن مصب وادي أسلا هو مكان الوادي المقدس

طوى ، وذلك لأنه أقرب إلى مدينة طور سيناء ، وأقرب لرحلة موسى عليه السلام وأنه كما وصفه تاريخ سيناء أجمل وادي في سيناء كلها وأن فيه طريق مختصرة تمر من مدينة الطور إلى دير سيناء وهو دير سانت كاترين والله أعلم وعلى الجهات الإدارية بمحافظة جنوب سيناء التحقق من ذلك على الطبيعة بالصورة والنظر التاريخي والدراسة السطحية لهذا الوادي المقدس .

●● ●● ●●

obeikandl.com